حكاية قرية من الأهوار

هدم الطاغية ٥٧ منزلاً في قرية (آل عريثم) في يوم واحد

ما زال ابناء القرية يشربون ماء المستنقعات ومدرستها الوحيدة من القصب!

الناصرية / حسين كريم العاملي

مرت سيارة الكوستر التي اقلتنا من فندق الجنوب في مركز مدينة الناصرية الى قرية آل عريثم على ضفاف هور (ابو زرك) ٣٥ كم شرق الناصرية بالكثير من المطبات والطرق الوعرة قبل ان تصل الى تلك القرية النائية التي ارتأى منظمو مهرجان الاهوار الثاني للشباب ان يقيموا فعاليات مهرجانهم فيها، هذا المهرجان الذي اثار تندر سكان القرية التي ما زالت تفتقر للماء والكهرباء والخدمات والابنية المدرسية، فمدرستها الوحيدة التي تضم ثلاثة اكواخ فقط مازالت حتى الآن مبنية من القصب منذ ان شيدها سكان القرية على حسابهم الخاص في العام الماضي.

تخصيصات ولكن

ونحن نجلس في السيارة تحدث الكثير من الاعلاميين الذين جاءوا لتغطية فعاليات المهرجان عن مبلغ يقدر بـ ١٨٠ مليون دينار لتغطية فعاليات المهرجان التي ستقام في هذه القرية البدائية الموغلة بالفقر والتي لم تتمكن حتى سيارات الوفود الحديثة من المرور في طريقها الترابي مما اضطر معظم ضيوف المهرجان الى السير ما يقارب الـ ٥٠٠ م مشياً على الاقدام ليبلغوا ساحة الاحتفالات الرطبة التي فرشها المنظمون باعواد البردي الخضر حتى لا تغوص اقدامهم واقدام ضيوفهم في الطين.

تندر

سكان القرية الذين لم يعتادوا مثل هكذا فعاليات تحلقوا حول ضيوف المهرجان وامطروهم بوابل من الاسئلة، اسئلة تستفهم في معظمها عن هذا الحضور غير المعهود وعن ماهية المهرجان وما يمكن ان يحققه لقريتهم المعدمة وحين علموا انه مهرجان رياضي هز بعضهم يده وزم شفتيه معبرا عن امتعاضه وعدم رضاه في حين وقف البعض الآخر ليستمع لخطب المسؤولين المليئة بالوعود والاشادة ببطولة ابناء القرية التي اضطهد النظام السابق أبناءهم وهدم في يوم واحد اكثر من ٥٧ منزلا من منازلها.

تهديم منازل القرية

وامام هذا الخراب الذي تشهده قرية آل عريثم والحرمان الذي يعيشه سكانها ولا منطقية التخصيصات الكبيرة المخصصة للمهرجان بات من غير المعقول ان نقف على الحياد ولا نبالي بمعاناة السكان وحكايتهم عن المأساة التي يعيشونها من دون ان ننقلها عبر صفحات المدى فكانت لنا هذه اللقاءات مع عدد من سكانها:

السيد ابو عماد السيد يوشع حفيد السيد يوشع صاحب المزار المعروف في قرية آل عريثم التي اقيم فيها المهرجان تحدث عن معاناة قريته قائلا:

كانت قرية آل عريثم/السيد يوشع المأوى الرئيس للكثير من معارضي النظام السابق والمقاومين له ونتيجة تعاطف سكانها مع المعارضين قام النظام باضطهاد أبنائها وملاحقتهم وتهجيرهم حتى بلغ به الامر مطلع التسعينيات الى القيام بتهديم ٥٧ منزلا من منازل القرية في يوم واحد كما قام ازلام النظام بتهديدنا بتهديم مرقد السيد يوشع (الذي يعتبر مقدسا في مناطق الاهوار) في حال استمرار دعم القرية للمعارضين حيث كانت معظم اتصالات المعارضين بتنظيماتهم وعوائلهم تتم عبر زيارة العوائل لمرقد السيد يوشع ايام الجمع لكي لا ثير تلك اللقاءات شبهات الاجهزة الامنية.

والقرية على الرغم مما قدمته من تضحيات ودعم للمعارضين الذين يتبوأ البعض منهم مناصب عليا في الدولة الا انها مازالت على حالتها البدائية ولم تنل أي اهتمام حتى الآن فلا ماء صالح للشرب ولا كهرباء ولا خدمات صحية ولا ابنية مدرسية كما ان منازلها التي هدمت في السابق وأبناءها الذين تضرروا من سياسية النظام لم يتم انصافهم او تعيينهم في اقل تقدير ولم يحظ أي منهم بفرصة عمل مناسبة في اجهزة الدولة، وعموما القرية مازالت تشرب الماء من مستنقعات الاهوار الملوثة ومازالت مدرستها الوحيدة مبنية من القصب.

المسؤولون والانتخابات!

وعتب ابو عماد على المسؤولين الحاليين الذين كانت تربطهم بسكان القرية علاقات وثيقة ايام المعارضة قائلا:

لقد اصبحنا لا نرى المسؤولين الذين كنا نقاسمهم ايام المعارضة لقمة العيش الا في فترة الانتخابات ونحن من خلالكم نطالبهم بالاهتمام بالمظلومين وتعويض المتضررين ونقول لهم كان الاجدر بهم ان يوفروا الماء والكهرباء لقرى الاهوار بالمبالغ المصروفة على هذا المهرجان فاقامة هكذا مهرجانات في وسط الخراب هو حالة نشاز لا تنسجم مع الواقع وقد كنا نتمنى ان تتزامن اقامة المهرجان مع حملة لمد شبكة المياه وايصال التيار الكهربائي ليشعر ابناء الاهوار ان هناك اهتماماً حقيقياً بمعاناتهم.

من سيئ الى أسوأ

ووافقه الرأي احمد حاتم قائلا :

حتى الآن لم نشهد أي تغيير على ارض الواقع فاوضاعنا المتردية لم تبق على ما كانت عليه في العهد السابق بل ازدادت سوءا بسبب تعرض منازلنا للغرق ولأكثر من مرة فقد تضررت نتيجة ذلك اكثر من ٤٠٠ دار في ارتفاع مناسيب المياه الذي شهدته المنطقة مؤخرا كما ان القرية مازالت تفتقر الى الماء والكهرباء والخدمات الصحية والى فرص العمل للعاطلين. وباختصار ان الوضع الذي نحن فيه أسوأ من السابق.

> - قرية "آل عريثم" شهدت مهرجاناً خطابياً بـ (١٨٠) مليون دينار ولا تزال بلا كهرباء وسكانها لم يشاهدوا المسؤولين الا قبل الانتخابات.

اما الحاج ابو كامل فقد عبر عن استيائه من انفاق ملايين الدنانير على مهرجان الاهوار قائلا:

لا ارى أي مسوغ لاقامة مهرجانات في مناطقنا التي ما زالت تعاني الاهمال والحرمان وباعتقادي ان التبرير الوحيد الذي اراه مناسبا لاقامة مثل هكذا مهرجانات هو حرص القائمين عليها على انفاق المبالغ المرصودة في مناطق بعيدة عن الاضواء ورقابة الجماهير المثقفة والا بماذا تفسر تخصيص ما يقارب المئتي مليون دينار (حسب زعمه) على مهرجان يقام في قرية نائية مازالت تفتقر لابسط الخدمات ويعيش سكانها في فقر مدقع؟

مجرد كلام

ومن جانبه عبر الشاب خزعل عبد عن رأيه قائلا:

لم نقبض سوى الوعود والامنيات والكلمات المنمقة فحالنا لم يتغير وهو باق على ما هو عليه منذ ان نشات القرية وقد كنا نتمنى ان يجري اهتمام جدي بواقع الاهوار من خلال النهوض بواقع الخدمات واقامة المنشآت الصناعية والسياحية لتشغيل العاطلين لكن هذا الامر على ما يبدو يحتاج الى وقت طويل في ظل حركة الاعمار السلحفاتية.

موت مبكر

في حين اصر حميد عجيل واحمد حاتم وحسين علي الذين جرى تسريحهم من اللواء الرابع جنوب بغداد بعد ان خدموا في صفوفه ما يزيد على الاربعة اشهر على نقل شكواهم للمسؤولين قبل ان يتحدثوا عن همومهم ومعاناة عوائلهم:

مازالت منازلنا تتعرض للغرق والانهيار مع كل ارتفاع لمناسيب المياه والدولة كعادتها في كل المرات تقف موقف المتفرج من معاناتنا ولم تقدم ما هو مطلوب منها حيث تكتفي في معظم الاحيان بالمساعدات التي تقدمها المنظمات الانسانية وهذه المساعدات في احسن الاحوال لا تسد الا الجزء اليسير من احتياجاتنا الكبيرة وطالبوا بالاهتمام بواقع الاهوار واكساء وانشاء الطرق والمستوصفات. الشارع الوحيد الذي يمر في قريتنا هو طريق عسكري سابق ويعاني حاليا التخسفات والحفر كما ان ارتفاع مناسيب المياه تجعله في معظم الاحيان غير صالح لسير المركبات كما ان منطقتنا تفتقر الى المستوصفات الصحية فالذي يتعرض عندنا لحالة طارئة في وقت متاخر لا يمكن نقله الى المستشفيات ويظل يعاني على فراش المرض ويموت في مكانه في بعض الاحيان وما اكثر الحالات المرضية الطارئة التي تحصل نتيجة استهلاك الماء الملوث فحالات الاسهال التي تصيب الاطفال لا تنتهي وكثيرا ما تؤدي بهم الى الجفاف والهزال والموت المبكر هذا ناهيك عن لدغ البعوض الذي يسبب مرض الملاريا.

واضاف حميد عجيل قائلا:

لقد عشنا اربعين سنة محرومين وسنبقى اربعين سنة اخرى ننتظر فرصة مناسبة فحتى التطوع في صفوف الشرطة والجيش اصبح بست اوراق (٦٠٠ دولار) وسعيد الحظ من يحصل على هذه الفرصة.

هموم صيادي السمك

في حين تحدث الصياد مالك سمير الذي استثمر وجود ضيوف المهرجان ورغبتهم في الاطلاع على عوالم الاهوار للحصول على بعض النقود من خلال نقلهم بزورقه السومري الى غابات القصب في عمق الاهوار عن متاعب مهنة الصيد قائلا:

مهنة الصيد غدت متعبة والهور لم يعد زاخرا بالاسماك مثلما كان قبل تجفيف الاهوار فمعدل ما اصيده حاليا لا يتجاوز الخمسة اوقيات في اليوم في احسن الاحوال وفي بعض الاحيان لا احصل الا على ما يكفي لوجبة غذاء لعائلتي من السمك الصغير، ولو توفرت لي فرصة عمل مناسبة لما لجأت لهذه المهنة المتعبة.

وعن الصيد الجائر قال:

الصيد الجائر محرم وممنوع في هور (ابو زرك) بالذات وقد اتفقت عشائر المنطقة على تحريم الصيد بالسموم والكهرباء وقرروا معاقبة واحتقار كل من يستخدم هذه الطرق في عمليات الصيد ونحن حاليا نستخدم الشباك في صيد الاسماك وهي انواع وتعتمد على حجم السمكة فمنها السبيعي والثميني والتسيعي وقد نضطر في كثير من الاحيان الى التوغل في عمق الهور ولاكثر من كيلومتر للحصول على الاسماك وذلك من خلال استخدام الزوارق البدائية (البلم).

وشكا سمير من ارتفاع اسعار الزوارق قائلا:

لقد بلغ سعر الصريجية (بلم صغير) ما يقارب الـ ٢٠٠ الف دينار في حين تراوح سعر الشختورة ما بين المليونين والمليونين ونصف المليون دينار.

قلة التخصيصات

وفي الختام توجهنا للمهندس علي حسين رداد مدير ناحية الاصلاح التي تدخل قرية العريثم ضمن حدود صلاحياته لنساله عن اسباب معاناة سكان الاهوار فقال:

قدمنا ٨١ مشروعا تشمل قطاعات الصحة والتربية والطرق ومحطات تصفية المياه والمراكز الصحية لتنفيذها في ناحية الاصلاح التي يبلغ عدد سكانها ٤٥٩٠٠ نسمة لكن للآن لم تحصل الموافقة الا على ١٥ مشروعا فقط ونحن نتظر الموافقة على المشاريع الاخرى.

وفي الوقت الحاضر تعتمد مناطق الاهوار على مساعدات المنظمات الانسانية اكثر من اعتمادها على امكانيات ودعم الدولة فتخصيصات الدولة قليلة جدا ولا تتناسب مع تكاليف اعادة اعمار البنية التحتية المدمرة بالكامل والمهملة منذ زمن بعيد فمناطق الاهوار مازالت تعاني سياسة التجفيف والتهجير القسري فعلى سبيل المثال هناك عشر مدارس في ناحية الاصلاح مازالت مبنية من القصب كما ان هناك ٥٠ قرية تفتقر للكهرباء وهناك ايضا الكثير من القرى والمناطق التي تتقطع بها السبل في مواسم الامطار.

اما في مجال الاتصالات فالناحية معزولة ومنقطعة تماما عن العالم بسبب عدم وجود بدالات وعدم وجود تغطية للهاتف النقال كما ان هناك خمسة آلاف مهجر ومرحل في داخل وخارج القطر في طريقهم للعودة الى مناطقهم في الناحية وهذا بطبيعة الحال يحتاج الى الكثير من الامكانيات ليتم استيعابهم وتوطينهم في مناطقهم التي نزحوا منها سابقا.

الضياع في حفر الباطن

(الورقة الحادية عشرة)

كنـــا نحتـــرق هنـــاك

عبد الكريم العبيدي

بين قسوتين اموت. انت، ايها الدوي: الى اين تمضي بهذا الضياع؟. دعني، لمرة واحدة، أُحصي كل هذا الرعب.

احفظ صورة واحدة منه. صور بلهاء لكل تلك الملامح التي انقرضت. او تلك التي نبتت لتريك، من أي نوع من العصور انت!؟. انها بدائلك الطارئة. ضيوفك

التي تنهشني الآن. من دونما دعوة ولا استغاثة في هذه المأدبة الطارئة..

❖❖❖

انه الرعب. كمثل صواعق برق. موت في ملجأ في الرمال. هذا هو المتخيل من الجحيم. سأموت، هنا، في الرمل. سقف الملجأ الذي بنيته سيتهاوى. هذا العمود العنيد سيحطم يافوخي. كم ذرة من جثتي ستصمد الآن!؟. كم من الاسى سيراه الرحالة بعد الف عام؟ انا ميت لا محال. هذا الدوي المجنون لا يعبرني بسهولة. ولا يدعني ابتسم لك هذا الاحساس اللذيذ بموتي الذي هو حياة دون شك!. هل هذه هي نهايتي؟ يارب. يا سلام. يا أحد. الذي لم يلد ولم يولد. يا بديع السماوات والارض. يا حي يا قيوم يا مالك. يا من وسعت رحمته كل شيء دع سنة من النوم تأخذني. احفظني في أي حوت تشاء. في أي كهف في أي غار. لقد لبث "نوح" في قومه الف سنة الا خمسين عاماً ثم انجيته، نجّني كما انجيته، لا اريد ان اموت. اجعل لي نصيباً في هذه الدنيا الضيقة. ولا تدع لي خوفاً الا أمنته..

"حيتان" بوش وصواريخه العابرة ترقص في السماء، ترقص وحدها، مضاداتنا الارضية في هذه الصحراء مخبأة في الرمال. والجنود يبيدهم الرعب. كلٌ في انتظار مصيره. ومن حولنا، من هول هذا الضياع يشهد الناس موتنا البطيء من على شاشات التلفزيون، الكل يشاهد ضياعنا الآن، في اميركا وكندا والصين، في اوروبا واستراليا في كل الكواكب التي لم تكتشف بعد، الكبار والصغار، الرجال والنساء، العاملون والمتقاعدون والعجزة. الملائكة والشياطين والجن والابالسة، كلهم "يا ربي" يتابعون هذا الهلاك المرئي والمكشوف. هلاك تلفزيوني بالالوان الطبيعية وعلى الهواء مباشرة. دخان وغبار وشظايا. قنابل وصواريخ وطائرات حربية. دماء وصراخ وحطام منظم يشاهده الجميع. بعضهم يحضن عشيقته ويتابع اطوار هذه الحرب الاتارية، يقبّل حبيبته ويهمس في اذنها: دعينا من هذه المشاهد الآن، تعالي في الملاهي الليلية حتى الصباح، وهناك من بكى فرحاً من اول "توماهوك" يسقط على بغداد. والكثير من العباد يتابعوننا بملامح جامدة، في هذه الليلة ثم يضاجعون زوجاتهم ويخلدون الى النوم.

الجميع، "يا الله"، يشاهدنا الآن كيف نحترق ونعود الى ما قبل العصور الوسطى، لماذا!؟ مجلس الأمن امهل صدام لغاية ١٩٩١/١/١٥ لسحب قواته من الكويت. القرار خوّل استخدام القوة. سرت حالة من الترقب لدى الجميع، ولكن من دون جدوى. الكل كان يريد حلاً بلا دمار. اخفق "ديكويلار" بجهوده. محادثات بيكر – عزيز فشلت. قعقعة الحرب سمعتها الاحجار. ولكن هذا الذي حصل اخيراً.. صدام قال: " ان ام المعارك تجري الآن" وبوش الاب هتف من منتجعه: "اننا لن نفشل".. لقد انتهت المهلة الاخيرة اذن (٢٤ ساعة فقط) مضت على انتهائها ثم حلت الكارثة.

ولكن، من كان يشاهدنا في تلك الليلة ايضاً؟. كل محطات التلفزيون في كل مكان في الارض كانت تنقل صوراً للصواريخ العابرة والطائرات الحربية وآثار الدمار والخراب والموت. قادة التحالف ربطوا حواسهم الخمس بالاقمار الصناعية وراحوا يتابعون مشاهد ضياعنا، ويفخرون "بالدقة المتناهية" لصواريخهم الفتاكة وقنابلهم "الذكية". المشاهدون في كل مكان كانوا يتابعون مباراة مثيرة لكرات "القنابل وصواريخ كروز". كانت مباراة من شوط واحد فقط. ولكنه شوط طويل، طويل جداً. تخللته آلاف الاهداف السريعة والمباغتة. وكانت مفردة "تدمير" هي الاكثر شيوعاً في المباراة التي كانت تزداد عنفاً لحظة بعد اخرى. تدمير المنشآت العسكرية ومراكز الاتصالات والمطارات والوزارات والمباني والقصر الرئاسي وابراج المايكروويف ومحطات الارسال والرادارات والملاجئ الحصينة ومراكز النقل وخطوط البث ومراكز الدفاع الجوي والمقرات العسكرية والجسور والاجهزة الاعلامية ومحطات الطاقة.. تدمير وتدمير وتدمير.. وكان شوارتزكوف يعلن من حين لآخر ان هناك وفرة كبيرة من الاهداف التي لم تدمر بعد!

في تلك المباراة استخدمت صواريخ كروز لاول مرة. وكانت "البنتاغون" فخورة بما تظهره الصور الملتقطة من الاقمار الصناعية والتي كانت تبث في جميع انحاء العالم.

التدمير شمل الكثير من الابرياء. ذكاء قنابلهم كان يختفي احياناً فيدفعها غباؤها الى الاطفال والنساء والشيوخ. مئات الآلاف من الهجمات شهدتها تلك المباراة، والقيت في آلاف الاطنان من القنابل.

التدمير شملنا ايضاً في الصحراء. وشمل الجنود هناك في الكويت.. التدمير لغة القوة والبطش. تحرق كل من لا يعي خريطتها وابعادها.. لقد كنا نحترق هناك، نحن الضائعين، لاننا حطب دائمي لطرفي المباراة، ياللسخرية!

كانت كل ثانية ثقيلة –اثقل من ملايين الاطنان – تجلب لنا الرعب من فرط اخبارها. شيع بين الجنود ان اسرائيل ستشترك في الحرب. بعضهم قال: انها مشتركة منذ البداية، آخرون قالوا ان مشاركتها امر لا مفر منه.. بعض الاخبار اشارت الى ان صدام نفذ اول غارة بصاروخ سكود استهدفت تل ابيب وحيفا. اخبار اخرى تحدثت عن اطلاق سبعة صواريخ سكود من غرب العراق نحو اسرائيل. تقارير اخبارية اكدت وقوع انفجارات مدوية في تل ابيب. اسرائيل صرحت ان الصواريخ تحمل رؤوساً حربية تقليدية. ولكن الجميع هناك ارتدوا الاقنعة الواقية خوفاً من الاسلحة الكيمياوية. الشائعة التي سرت بيننا نمت واتسعت. قال البعض: انتظروا ضربة اسرائيلية ثأرية تنفذها المئات من النفاثات الاسرائيلية لحرقكم جميعاً. وبعد ان سقطت ثلاث صواريخ سكود جديدة على تل ابيب والقدس، ادركنا اننا بانتظار المحرقة الاسرائيلية.

من كان يبث تلك الشائعات بذلك القدر من السرعة والتأليف؟.. آمر الفوج وضابط "توجيهه" السياسي كانا وحدهما يتابعان مجريات المباراة من على شاشة التلفزيون داخل الملجأ. وكان مراسلاهما وطباخهما يهولان ما يسمعونه ويشاهدونه من داخل الملجأ ويبثونه بأطر مرعبة الى جنود المقر الذين يضيفون عليه الكثير من هلعهم قبل ان يصدروه الى افراد السرية والحجابات. كان هاجس الخوف يولد المزيد من المخاطر والرعب لخلق توازن وهمي بين "انا" مذعور و"خارج" مستعر.. "انا" يشعل "الخارج" بمزيد من المخاطر ليبرر وجوده هناك كونه لا يخلو من شجاعة. او ان تواجده في داخل الكارثة يمثل قيمة اعتبارية حتى لو كانت سيئة او عديمة الجدوى. انه يحاول، بتضخيم الخارج –الذي هو جحيم في ذاته –ان يوهم نفسه انه جزء من "تاريخ" لعبة اقيمت في هذه الصحراء ذات يوم. الخوف بهذا القدر يجعل استعداد تلك الاجساد الخاوية لمقاومة القلق واحتمالات الموت في اوطأ درجة، وسط دوي هائل على مدار الساعة كان يرعبنا فعلاً. لم يعد لنا شيئ نلهو به غير مخاوفنا. لم تبق لنا احاديث للتواصل غير الخوف.. الخوف صار وجودنا الحقيقي. ومادة للاتصال فيما بيننا. وكنا نرى تفاصيله في وجوه بعضنا البعض. وفي حشرجة اصواتنا وغضبنا وسرعة الانتقال من خوف الى خوف، بينما اختفت، ويا للغرابة مفردات وطقوس كان من المفترض ان تدوم. لا اذكر ان احداً فكر بوجبة فطور او عشاء. ولا اذكر احداً تحدث عن الماء والمقطورة والحاوية. اننا نتغذى قلقنا. وفي عروقنا تسري المخاوف. بينما تنشغل السنتنا باخبار الغارات والدمار والهلاك.. أي نوع من المخلوقات كنا في رمال تلك الصحراء!؟. لا ادري... "ولكن يارب. يا حنان يا منان، يامن لا يحمد على مكروه سواك" ما الذي حل باهلي هناك؟ هل ابيدوا جميعاً؟ هل طحنتهم صواريخ كروز الموجهة باشعة الليزر؟. شوارتزكوف قرر اخيرا حضر البريد مبرراً قراره ان القوات في حالة حركة ولن تستطيع على الارجح ان تتسلم بريداً ورزماً كبيرة. ولكنني "يا لطيف، يا راد يوسف الى يعقوب"، لم اعرف مصير اهلي منذ شهور عديدة. واسرتي فقدتني منذ ذلك الصباح المشؤوم في الدريهمية. هل لي من عودة لهم سالماً من هذه الحرائق المدوية؟. يقال ان الدمار شمل العراق كافة. ولم يعد هناك ماء ولا كهرباء ولا طعام ولا مأوى.. اكثر من الف طلعة جوية خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى من هذه المحرقة حطمت الحياة كلها. قتل الكثير من الاهالي بهذه التكنولوجيا المتطورة والذكية التي لا تخطئ اهدافها. الطائرات المقاتلة والقاذفة والمروحيات حجبت عنا سماؤك وامطرتنا بآلاف الاطنان من القنابل. والاخبار من داخل العراق تتحدث عن هروب جماعي من المدن الى القصبات والريف بعيداً عن جحيم المحرقة.

وفي سريتي حصلت امور جديدة. وصل اليها عدد من الجنود "المخلوعين" من مقرات الفرقة واللواء والمراكز الخلفية والخدمية "لتعزيز" موقفها. أي موقف!؟.. لقد انتهت فاعلية الرشاوى واراد كل ضابط كبير ان ينفذ بجلده. انها صورة الموت التي اصدرت احكامها المخيفة في نهاية الامر. لم يعد لخطاب السلطة من معنى. احترقت مقولات "المخطط الامبريالي – الصهيوني والامة العربية والنضال والوحدة" كل هذه العواطف المشلولة تبخرت اثر هذه الصحوة المدمرة. انهارت الثقة الوهمية بحتمية النصر للصف المؤمن والحاق العار بالكفار والانجاس. هنا ينفرط الوهم وتتبدد اطواره على حافة المحرقة. حتى اصداء اسم الحرب، لا وجود لها هنا في هذه الصحراء المحروقة. "ام المعارك" هنا هي عاصفة. عاصفة الصحراء التي حرقتنا وكشفت عن ضياعنا عبر الاقمار الصناعية للعالم كافة. صاحبي الذي اواني واطعمني في بداية الضياع شملته رياح العاصفة. ابلغه الضابط الذي تسلم منه رشوة كبيرة بعدم استطاعته بعد الآن اخفاءه في المقر. وقرر درجه مع قائمة المنقولين – المخلوعين –الى السواتر الاولى.. لمحته في ظهيرة ذلك اليوم من بين عدد من الجنود. كان الجندي الوحيد الذي مازال يحتفظ بقيافة ممتازة. بدلة نظيفة مرقطة من نوع –القوات الخاصة –وحذاء مصبوغ وحقيبة جلدية فاخرة.. لم يعرفني في اول الامر. لم يتذكرني قط. فأمامه مخلوق صحراوي عتيق. شعر اشعث ومقمل. ووجه مغبر تختفي ملامحه خلف لحية طويلة كثة.. ثياب ممزقة وقذرة. ورائحة عفنة تنبعث من كل مكان. حتى اظافر اصابعي باتت مثل اظافر وحش.. عموماً تلاشت بسرعة رغبتي في ان اذكره. بحسن ضيافته. ولكنني دعوته للجلوس في ملجئي وقدمت له الماء من الحاوية المليئة بالذباب واخبرته بعجزي التام عن تقديم أي شيء آخر. كان يرتعد من الخوف وكان الصليب الصغير المعلق بسلسلة ذهبية ناعمة يهتز اسفل عنقه. وعندما دوى انفجار هائل واهتزت بنا الارض سمعته يهتف: "الرب اليسوع هو الفلك الحقيقي الذي يجب ان اختبئ فيه دائماً حتى اتمتع بالحماية المؤكدة." قال ما يشبه هذه المقولة مثلما قال بعد ذلك مقولات دينية عديدة في اوقات مختلفة. قال لي: "ذات مرة" ان الله الذي لا ينعس ولا ينام هو الذي يحرسنا ليلاً ونهاراً".. وكان يردد اقوالاً دينية عديدة مثل: "تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم –ادعني في يوم الضيق انقذك فتمجدني –الرب قريب لكل الذين يدعونه". مثل هذه الادعية والمقولات كثيراً ما انتشرت بين الجنود والعودة –الصحوة –التي رافقت صواريخ كروز كان لها مفعول كبير في صحراء حفر الباطن. "الاشتر" لمحته يتوضأ ويصلي لاول مرة. وفي احد نهارات الضياع شاهدته يتهجأ وهو يقرأ بكتيب ادعية صغير استعاره من احد الجنود. كان لكل يوم دعاء خاص به. وبعد ايام شاهدته يقرأ المصحف بصوت خفيض. وكانت قراءته ركيكة للغاية.

بعض الجنود بدأ يصلي صلاة جامعة. وراح يؤمهم احد الجنود الذي بدا لي وكأنه امام جامع من كثافة لحيته المليئة بالغبار. فصول الخوف بدأت تؤسس لها صوراً مختلفة. الكثير من الجنود لم تنل منهم "صحوة صواريخ كروز" فقرروا الاستسلام. في الصباح تجرى العديد من الحوارات علناً ويتم الاتفاق على الاشتراك في مجموعتي الدورية الليلية والكمين، تحملهم عربة عسكرية قديمة الى الارض الحرام. ومن هناك يلجأون الى القوات الامريكية ويعلنون استسلامهم. في المساء يسمع الآخرون اصواتهم او خبر استسلامهم من الاذاعات الموجهة. موجات الهروب تفاقمت هي الاخرى. الكثير من الجنود اختفى من السرية. كانوا يتركون كل حاجاتهم ويرافقون سيارة الارزاق او مقطورة الماء او أي عربة عائدة الى الزبير. احد الضباط قال لي ذات مرة متحسراً: "آه، لولا هذه الذروق على كتفي –يقصد الرتبة العسكرية – لفررت. ولكن ماذا اصنع؟، سيتم اعدامي حال فراري – ليتني كنت جندياً مثلك!"...

الحرائق من الداخل والخارج كشفت عن هشاشة حشد كان يراد له ان يبدو كبيراً وان يقذف في الصحراء لتلتقطه الاقمار الصناعية وتحيله الى صور وافلام تخضع للدراسة والبحث على طاولة شوارتزكوف ودهاليز البنتاغون وجنرالاته، المشهد سرعان ما تفكك. آمر الفوج كان يحرص في عصر كل يوم على تفقد ما تبقى من المدفعية والمضادات الجوية الاخرى. كان يريد ان يطمئن انها مخبأة في اكياس الرمل. وان فوهات المدافع منكسة ومخفية تماماً، بينما كانت النفاثات والمروحيات تسرح في السماء بحرية وبسيادة تامة. ضابط التوجيه لم يخرج رأسه من ملجئه، ربما لانه لا يريد ان يرى احتراق اوهامه فجأة على ارض الواقع. او لانه كان منشغلاً بكيفية انقاذ نفسه في وقت كانت عبارات السب والشتم لرموز النظام تقتحم ملجأه هكذا كانت الاوهام تتبخر سريعاً.. هكذا كنا نحترق.